

إهداء

إلى أمي الحبيبة - رحمها الله - التي رحلت عنا في شهر رمضان المبارك، وهي في أسمى لحظات العبادة، أُهدي لك هذا الكتاب بكل الحب والامتنان الذي لا تنفد كلماته.

"أمي"، كنتِ تجسيدا للحب غير المشروط. لقد قدمتِ لنا كل ما في قلبكِ وروحكِ من أجل سعادتنا. توضحياتكِ كانت أكبر من أن تُحكى، وسخاؤكِ لا يمكن تعويضه. عشتِ حياتكِ بأكملها في سبيل أن نعيش نحن في راحة وسلام، وكان حنانكِ ينبع من عمق قلبكِ، وكأنكِ منحيتنا كل ما تبقى لديكِ.

ألم الفراق يكاد يكون لا يُحتمل. كل ذكرى تلامس قلبي وكأنكِ هنا، بجانبِي، كما كنتِ دائماً. أطلب من كل من يقرأ هذه الرواية أن يدعو لها بالرحمة والمغفرة، فدعاؤكم هو أصدق هدية أستطيع تقديمها لأغلى إنسانة في حياتي.

"إلى روحكِ الطيبة التي ستظل في قلوبنا إلى الأبد"

مقدمة الكاتب

في عالمنا الحديث، نميل إلى اعتبار الأماكن مجرد كيانات صامتة، تفتقر إلى الروح والذكاء. ومع ذلك، ما نغفل عنه هو أن كل مكان يحمل في طياته ذكريات وأحداث كانت سببًا في تشكيل شخصيته عبر الزمن. الأماكن ليست مجرد هياكل صامتة كما نعتقد، بل هي سجلات حية للشعور والألم، تروي قصصًا قديمة لا يعرفها أحد سواها، وتبث إشاراتنا لأولئك القادرين على فهمها.

هؤلاء الذين يستطيعون سماع حديث الأماكن ليسوا كغيرهم من البشر؛ إنهم أشخاص مميزون، وغالبًا ما يعانون من اضطرابات نفسية تجعلهم أكثر حساسية تجاه ما يدور حولهم من أمور لا يدركها الآخرون. فالأماكن تختار هؤلاء الأشخاص لتبوح لهم بأسرارها، وكأنها ترى في معاناتهم الخاصة انعكاسًا لمعاناتها، فتفتح لهم صفحاتها المظلمة التي ظلت مطوية لعقود.

تلك الاضطرابات النفسية الذي يعاني منها جلال بطل الرواية ليست مجرد أمراض تعيق حياته اليومية، بل هي نافذة تجعله ينظر إلى عالم خفي، تمكنه من التواصل مع ذكريات الأماكن. هؤلاء الأشخاص الذين يعيشون على حافة الإدراك، بين الواقع والخيال، يجدون أنفسهم بين طيات أماكن تحمل أعباء الماضي، كأنهم شهود جدد على ما حدث فيها. الأماكن تختارهم لتكون جسرًا بين الحاضر والماضي؛ لتروي لهم قصص القتال والقتل، والتعذيب، وكأنها تبحث عن يفهم صوتها المكتوم.

كل ركن في المكان هو شاهد صامت على ما عاناه البشر، الذين عاشوا فيه أو عانوا منه؛ من ساحة معركة دموية إلى قاعات التعذيب القديمة، وتلك القصور المهجورة التي يُروى عنها أنها كانت مسرحًا للأرواح الشريرة. هذه الأماكن ليست مجرد بقايا مادية، بل هي أصول تحمل ذكريات مؤلمة تدور حول معاناة وألم شديد. عندما نخطو داخل هذه الأماكن، نشعر برهبة غامضة، ليس محض صدمة، بل نتيجة لتأثير الأحداث المروعة التي شهدناها المكان. الذكريات العنيفة لا تزال محصورة في النصوص التاريخية فحسب، بل تتخلل المكان ذاته، مؤثرة على الجو العام الذي نستشعره، وتترك ندوبًا غير مرئية يلتقطها هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية.

الأماكن ليست مجرد مسرح للأحداث، بل كائنات تحمل طاقة غير مرئية، انعكاس لما شهدته من مأساة. وعندما يتقاطع ذلك مع نفسية مريضة ومضطربة، تكون النتيجة مزيجًا من الرعب والغموض. فالأماكن تختار من يمكنهم فهم حديثها، وتختار من يمكنهم أن يشعروا بما يحيط بها، وأن يستمعوا إلى الهمسات المدفونة في جدرانها المتآكلة.

من خلال هذه الصفحات، سنغوص في عمق العلاقة بين الإنسان والمكان، ونتساءل: هل يمكن للأماكن أن تتحدث؟ وهل يمكن للاضطرابات النفسية أن تفتح بابًا لفهم أسرار الماضي؟ كيف يمكن للأماكن أن تختار من يسمع حديثها؟ وهل هذه الأماكن كانت مسرحًا لأحداث مأساوية أم مسكونة بالأرواح الشريرة؟

هذه الأسئلة تفتح المجال لاستكشاف كيف أن الذكريات والأحداث تؤثر على الأماكن، وكيف أن هذه الأماكن تحتفظ بقصصها الخاصة، مفسرة لنا السر وراء شعورنا بالخوف والرغبة عندما نتواجد في مواقع كانت يومًا مسرحًا لأحداث مظلمة.

الفصل الأول

بداية الرحلة - القاهرة

بدأت القصة في عالم يضج بالصراعات اليومية، يعيش جلال الدين فؤاد، المهندس المعماري الذي كان يُعد من ألمع العقول في مجاله، قبل أن يقوده عقله إلى مسارات مجهولة بدأت رحلة جلال في عالم من الفوضى والضياع عندما بدأت أعراض متلازمة جوسكا بالظهور عليه. تلك المتلازمة التي حولت أفكاره إلى حلقات لا تنتهي من الحوار الداخلي، كانت تملأ رأسه بأسئلة وصراعات لا تنفك تتكرر مع مرور الوقت، أصبحت أفكاره أكثر إلحاحًا وتعقيدًا، حتى باتت تؤثر على أدائه المهني، وأصبح تركيزه يتلاشى وسط ضجيج عقله المضطرب الأمر الذي أجبره على التوقف عن عمله كمهندس، رغم محاولاته المتكررة للاستمرار.

لم تكن تلك هي النهاية، بل كانت البداية لسلسلة من المحاولات واليأس، حيث جاب جلال بين الأطباء بحثًا عن تشخيص يخلصه من قيود عقله.

لكن كل طبيب كان يشير إلى نفس الجواب: اضطراب عقلي ناتج عن متلازمة جوسكا. ووسط العجز والتشتت، قرر جلال الابتعاد عن حياته القديمة تاركًا عمله والسعي إلى عالم جديد، عالم لم يكن يتخيله قط؛ عالم الألغاز والجرائم القديمة، حيث يتداخل الماضي مع الحاضر في شبكة معقدة من الأسرار.

وفي لحظة فارقة، التقى جلال بأمونرا، تلك المرأة الفاتنة، ذات السحر الذي لا يُقاوم، والتي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياته.

كلما اقترب جلال من أمونرا، كان يزداد تقييدها له، وكأنها شبكة عنكبوت لا فكاك منها، قادته أمونرا إلى أماكن مليئة بالأسرار الدفينة، جرائم حدثت منذ زمن بعيد، وأرواح تائهة بين الأرض والسماء تنتظر الخلاص، أصبح جلال عالقًا بين عالمين: عالم ليلى حب الطفولة الذي لم يكتمل يومًا، وعالم أمونرا المليء بالسحر والغموض.

كانت أمونرا تجذبه نحو كل ما هو مجهول، تقوده إلى مواجهة ماضيه وفتح أبواب لم يكن يعلم بوجودها.

كان كل لغز يحلّه، وكل جريمة يكشف أسرارها، يقربه أكثر نحو أمونرا، لكنه في الوقت نفسه، كان يُشتت عقله أكثر، تاركًا جلال ممزقًا بين سحرها وجاذبية ماضيه وجد جلال نفسه، دون أن يدرك، في مهمة غير متوقعة: إنقاذ أرواح بريئة، ضحايا ظلم وخيانة، أرواح عالقة تبحث عن العدل والسلام. كانت تلك الأرواح تنتظر؛ لينقذها، لتُدله على طريق لم يكن يتوقعه.

وبين صراعه الداخلي ومعركته مع أشباح الماضي، بدأ جلال يدرك أن الرحلة التي بدأها لم تكن فقط لكشف الأسرار، بل كانت رحلة اكتشاف ذاته، وإنقاذ نفسه من برائن عقل لا يعرف الراحة.

الوقت الحالي..

أنا جلال، ولقبت نفسي بسجين الماضي، هذا اللقب الذي أطلقتته على نفسي ليس مجرد تعبير مبالغ فيه فحسباً أنا سجين.

فأنا سجين عقلي وسجين للأمراض النفسية أنا مصاب بمتلازمة جوسكا. ومنذ سنوات، أصبحت متلازمة جوسكا جزءاً من حياتي. هذه المتلازمة جعلتني أعيش في عالم مليء بالأوهام والأصوات التي لا يمكن للآخرين سماعها أو رؤيتها.

يُقال بأن عقلي يتنقل بين ما هو حقيقي وما هو من ضرب الخيال، لكنني أصبحت معتاداً على هذه الفجوة.

تلك الحالة جعلتني أعيش بين طيات الخيال والواقع، حيث أسمع أصواتاً وأرى أشخاصاً غير موجودين.

تلك الأوهام تملأ حياتي بالقلق والخوف، وتجعلني أرى أشياء لا يراها غيري.

لكنني أدرك تمامًا أن هذه الأوهام، رغم كونها مزيجاً من الحقيقة والخيال، فاهي تقيّدني بقيود الماضي وتدفعني إلى أماكن تُثير في داخلي الرهبة والقلق.

في كل رحلة، وكل مغامرة أبدأها، أدخل عالمًا مليئًا بالأماكن القديمة والمهجورة التي تُشبع خيالي. لكن، ليس كل ما أراه هو مجرد أوهام في الظلام الدامس لهذه الأماكن.

لا ولكن عندما تتداخل الذكريات والأرواح المفقودة مع الواقع، أجد نفسي أواجه أشياء لا يمكن تفسيرها.

ربما يكون الأمر مدفوعًا بأوهامي، لكنني لا أستطيع إنكار تأثير هذه الأماكن المظلمة على حالتي النفسية. هذه الأماكن ليست مجرد رحلة للبحث عن الغموض، بل هو صراع مستمر بين ما أري وبين ما يُعتبر حقيقياً.

فأنا هنا الآن؛ لكي أشارك معك ما شهدته وعشت، وكيف أن متلازمة جوسكا التي أعيش بها تقودني إلى مواجهة مخاوف تتجاوز حدود العقل.

جلال الدين فؤاد، مهندس معماري سابق، يبلغ من العمر 35 عامًا. طوله حوالي 1٨٠ سم، بشرته داكنة بعض الشيء، وعينه السوداءوان تحملان بريقًا من الفضول والذكاء. شعره الأسود ولحيته القصيرة يضيفان عليه مظهرًا جديًا وعمليًا. يعاني من متلازمة جوسكا، والتي كان لها أثر سلبي على حياته المهنية وأدت إلى فقدانه وظيفته.

بينما يقف جلال أمام منزله في القاهرة، وكأنه يسترجع ذكريات الماضي، ويحمل حقيبتيه التي تحتوي على كاميرا، مصباح يدوي، دفتر ملاحظات، ومعدات أخرى، يشعر بالرهبة والترقب لما ينتظره في رحلته.

"هل أنت مستعد؟" سألته نادية، شقيقته الصغرى، وهي تراقبه بتوتر. كانت نادية فتاة في أواخر العشرينات، بشعر بني طويل، وعينين واسعتين تعكسان قلقها الدائم على أخيها الأكبر.

قال جلال مطمئنًا: "أنا أعلم أنك قلقة، لكنني بحاجة للذهاب في هذه الرحلة. هناك شيء في تلك الأماكن يجذبني ويجعلني أشعر بأنني يجب أن أكون هناك."

ردت نادية بقلق: "لكن يا جلال، أخشى أن تؤذي نفسك أكثر. الأوهام تزداد، وأنا أخشى أن تفقد صلتك بالواقع تمامًا."

ابتسم جلال بلطف وقال: "أفهم مخاوفك، لكن هذه الأوهام قادتني لاكتشافات مذهشة. ومن يدري يا نادية، قد أجد هناك إجابات لأسئلتني، أو حتى راحة لعقلي."

قالت نادية بتردد: "وإذا لم تجد شيئًا؟ ربما تكون مجرد أوهام."

رد جلال بابتسامة هادئة: "على الأقل سأكون قد حاولت. نادية، نحن نعيش مرة واحدة فقط، ولا أريد أن أترك أي سؤال بلا إجابة. أعدك يا نادية بأنني سأكون حذرًا."

تنهدت نادية وقالت: "حسنًا يا جلال، لكن تذكر أننا هنا من أجلك. إذا شعرت بأي خطر، عُد إلى المنزل فورًا."

أجابها جلال بابتسامة مطمئنة: "أعدك بذلك."

ثم أمسك بحقيبته وتوجه إلى سيارته القديمة.